((تجربة الابداع الشعري عند الشاعر مقداد مسعود في مجموعته – رايته يغتسل الماء -))

ماجد قاسم

للوهلة الأولى تبدو كتابة النص النثري سهل وبسيط لكونه لا يحمل وزناً اوقافية مثلما تحمله القصيدة العمودي حسب الاوزان الشعرية المعروفة او قصيدة التفعيلة ، والتي يتقيد الشاعر لتظهر القصيدة بموسيقى ممتعة ومنمقة لأذن وذهن المستمع او القارئ ، بينما تمتلك قصيدة النثر مساحة واسعة من الحرية ، يستخدم الشاعر فيها فنون الكتابة مما يتح له بالتعبير عن مشاعره واحاسيس الناس بصورة سهلة بسيطة ،

النص 164 :-

((... أشجار البمبر ، قبل ان تثمر ، تنفح في الشجرة ، مراوح قداح ، فيضي الحديقةَ عطرٌ ، ثمرة البمبر تهبط الأرضَ هامسةً لا أحد يسمع صراخها ، سوى العشب والشجرة وقبلهما : انا))

قصائد المجموعة تحاكي الحياة اليومية للإنسان الغير مستقرة ، ان حالة عدم الثبات والتأرجح المتأتية من حالة الانسان الاعتيادية ، مجموعته تحمل قصص قصيرة وأفكار كتبها الشاعر بشكل مكثف تراها من ناحية الشكل نثرا لكن في المضمون شعرا ، تمتاز قصيدة النثر بهذه السمة بشكل عام ،

النص (134)

((الريح تنفخ في الشجر ، والانهار ، الهدوء يزعج الريح

لذا هي تنفخ السلوك اليومي للأرصفة والأسواق

والمركبات والاشرعة .. من اسرف في منفاخ الريح ؟))

موضوع القلق شائع في الشعر حيث يعبر عنه الشاعر من خلال كلمات الناتجة عن الخوف من المستقبل او الحزن على الماضي او الصراع مع الحاضر والبحث عن الذات والهوية ،

النص رقم 142

((في مركبةٍ مهجورةٍ يقرفصُ الاملُ ، يرتجفُ

يقطرُ المطرُ قطرةً .. قطرةً من بقيةِ اسمالهِ

وقد نتفتْ ريشاتهُ بِلا سببٍ ، غيرةُ غبارٍ عاصفٍ))

تقول سوزان برنار وهي ناقدة فرنسية تعد من رواد قصيدة النثر وكانت اطروحتها في نيل شهادة الدكتوراه في عام 1958 تحت عنوان قصيدة من بودلير حتى يومنا هذا من جامعة باريس ((لعل الكثير من قراء الشعر اليوم لا يعرفون النضال الطويل الذي خاضه رواد قصيدة النثر حتى تتقلد تلك المكانة التي هي عليها الان ، كان من الطبيعي ان يلقي التجديد الفكري الذي عاشته أوربا العصر الحديث بضلاله على الشعر أيضا ، وان يتحرر الشعراء من القوالب الكلاسيكية للقصيدة ، ويطيحوا بالتقاليد والوصايا ، والعروض ، والقافية ، وجميع القواعد الكلاسيكية ، لينفذوا الى الجوهر وهو الشاعرية بعيدا عن الشكل)) ، ان التجديد يلاقي صعوبة في بداية الامر لكنه ضرورة بديمومة الحياة في جميع المجالات ولاسيما الشعر باعتباره جنس من اجناس الادب ، في النص (72) ادناه فيه جمالية في كتابة السطر الكامل بدلا من الطرق المعروفة ،هذا الأسلوب اعتمده الشاعر سعدي يوسف في ديوانه الليالي كلها ،

النص (72)

((اذا نويتَ ان تهرب من جسدك، بماذا ستخبر ملابسكَ الخضلةِ برائحتك ؟

كيف تخذل صوتكَ وتتركهُ يتخثر ؟ اعلم ان الأمكنةَ التي تختزن صوتكَ ستطلقهُ بتواقيت منارة الفجر وعندما يخضوضرُ الضحى ولّما يتصبب عرق الهاجرة ، اذا نويت ... لآي جهة يذهب ظلك المتنسم قداحاً وقرنفلاً ؟ كأنك نسيت ان ذاكرة احذيتك اكثر فتوة من ذاكرتك المترجرجة زئبقا)) .

من ابرز رواد قصيدة النثر في العراق الشاعر حسين مردان اصدر له عدة دواوين اسماها النثر المركز مثل صور مرعبة وعزيزتي فلانة ، وروفائيل بطي ديوانه الربيعيات عام 1925 وكثيرون من كتبوا قصيدة النثر الا ان تجربة الابداع الشعري عند الشاعر مقداد مسعود لا تقف عند تجربته الشخصية وانما تعدى ذلك بما يملكه من خيال واسع يقوم بخلق صورا وافكار جديدة وغير مألوفة وعبارات غير شائعة فيها صور شعرية كبيرة وعلى شكل حوارات يومية ، وابتعاده عن الغموض الزائد في قصائده مما يجعل القارئ فيها يفهم المعنى المقصود ، إضافة الى تفكيره وأسئلته في الحياة المتكررة الفلسفية عن الحياة والوجود ، وهناك شيء يقوم به هو صناعة المفردات والعبارات وجعلها بإيقاعات خاصة للحصول على تكامل وابداع بقصائده ، كما في هذه النصوص رقم (94) :-

((لا فرق بينهما : خطاي وأخطائي ، هما عيناي وخريطتي ، حين دنوت من شجرٍ في الحديقة ، خاطبني خطأٌ نسيتُ ملامحهُ ، وهو يشيرُ الى شجرٍ بعينه :

كلا كما ليس انت ، ثمَ قطف نسمةً من ظلٍ وقادَ حلماً لي

لا أعرف كيف طاوعهُ حلمي !! وها هم نسمةُ ظلٍ وحلمٌ لي وخطأٌ عقيم ...

الناي الذي كان بلبلا ، يُحصي الاعناب في مواسم التمرِ ؟ فجأة دنا مني حلمٌ بَلا نعلين ، عليه سملٌ ، كأنه ذكرى قميص ، ولا ادري هل كان يخاطبني ام يناجي ربهُ ....))

النص رقم (110)

((دع النوم يأتي بالعربة الفستقيةٍ . لاتذل قدميك بالبحثِ عنهُ لا تقرأه، تاملهُ على مبعدةٍ ، كن غواصاً في جمرةِ اليقظةِ ربما تقيُس المسافة بينهما : الصمت والسكون))

زعمنا هذا ليس دعوة الى مغادرة اوعدم التمسك بقواعد الشعر (العمودي) وانما راي خاص ، وان الشاعر عليه الاطلاع ودراسة قواعد الشعر الأساسية ولن يصبح شاعراً ما لم يوفر له فهما عميقا باصول البحور الشعرية المعروفة ، ثم علينا الاعتراف بتطور الشعر مع الزمن والتجديد والتجريب هما جزء من عملية الابداع الشعرية من خلال تجريب اوزان وقوافي جديدة اعتماد على لغة شعرية جديدة ومزج الشعر مع فنون أخرى مثل الموسيقى والرسم مع لمسات فنيه رقيقة للوصف والصورة الحديثة ، لذا يمكن القول ان قراءة الشعر العمودي هي مهمه ولكنها ليست الوحيدة والتجديد والتجريب هما مفتاحان لخلق شعر جديد ومبتكر هذا التوازن المحافظ على التراث والتجديد في آن واحد .

يتحول القلق عند الشاعر مقداد مسعود الى حافز ومصدرا للأبداع من خلال قدرته في التعبير عن أفكاره وجعل مشاعره اكثر وضوحا وقوة ، بالتالي الى جعل قصائده جميلة ومعبرة ويتفاعل معها القارئ بطريقة مباشرة ومؤثرة في استخدام الشاعر ما هو سمعي او بصري من خلال لغة تستهدف الحواس السمعية والبصرية لخلق تأثير معين بتكرار الأصوات او الكلمات او الالفاظ التي توحي بأصوات معينة كما في الحالة البصرية ، ومن خلال وصف الأشياء بطريقة تجعل القارئ يراها بوضوح ،

كما في هذا النص رقم (104) ،

((يأتي يطفئ اوراقي ، يجفف محبرتي ، يبلل اغصاني وينشفها في صمت ، غصنا .. غصنا وحين تساقط أوراق الاغصان ...))

توحي هذه الصور بفقدان الجمال والحياة وبفقدان الابداع والكتابة والتقلب والتغير وكذلك توحي بالصمت والخلو مما جعل الصورة في ذهن القارئ وجعله يشعر بالمعنى العميق للكلمة .

النص رقم (160)

((لا دخلَ لي بهذه القلاع ، ولا ببقايا التماثيل ، البيوتُ لا تعبقُ بظلالِ من نتشوق اليهم ، ليس لدينا من تخاصمهم ، ثم نمشي في جنازاتهم ، الاشجارُ عصافيرها ، غير معنية بصفيري ، وهذا الدانوب الصادح بشتراوس ، ليس فيه اسماكا ولا زوارقنا ، هنا : لا سمرةَ في ملامح هذه الوجوه ..

الهي من يضع قدمي في الطريق المؤدي الى بيتنا ؟))

في هذا النص رقم (160) ايحاءات المؤثرات السمعية الواضحة مثل (لا دخلَ لي بهذه القلاع) كأن صوت داخلي كصوت النفس او الرفض وفي العبارة الثانية (ليس لدينا من نخاصمهم) توحي بصمت او غياب الصراع ، والعبارة الثالثة (ثم نمشي في جنازاتهم) توحي بصوت الدفوف او النحيب ولكن بطريقة غير مباشرة ، ان تكرار العبارات والجمل في هذه النصوص مما يخلق ايقاعا يعزز الجانب السمعي .

بناءً على ما سبق كانت نصوص (رايته يغسل الماء) نثرية فيها الكثير من التأمل والتفكير تنقل القارئ الى جماليات الزمان والمكان عبر حواراته التي تحاكي الحياة اليومية للإنسان وفقا لطبيعته ونمط تفكيره بالحياة والوجود ، كان يكتب بوضوح في اللغة والمعنى ، قليلا ما كانت تحمل غموضاً عبر الايحاءات البصرية والسمعية .

الشاعر مقداد مسعود كان مبدعاً في نصوصه ويضاف الى جهده وتجربته الإبداعية .

البصرة 5/2/ 2026